جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 37 / أيلول 2023

حِجاجية الصورة البيانية في توقيعات الإمام المهدي (عليه السلام) - دراسة تطبيقية -

The arguments of Figure of thought in the signatures of Imam Mahdi (peace be upon him)

امتثال شهيد جاسم العلي
Emtthail Shahada jassim
أ.د مسلم مالك بعيّر الأسدي
Prof. Dr. Muslim M. Al-Assadi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الحِجاج، الاستعارة الحِجاجية، الكناية الحِجاجية.

Keywords: The argumentative, argumentative metaphor, Argumentative symbol.

الملخـــص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حِجاجية الصورة البيانية في موسوعة توقيعات الإمام المهدي عليه السلام لمحمد تقي أكبر نظراً لما تحتويه من خطب هادفة إلى تغيير وضع قائم بالحجة والإقناع عن طريق استعمال آليات بلاغية حِجاجية لها أثرها البارز في التأثير على نفسية المتلقي ودفعه نحو فعل معين، ولها أثرٌ مهمٌ في تكوين الخطاب لجذب المتلقي واستمالة ذهنه ومشاعره نحو الصورة الموحية والمعبرة واقامة علاقة عقلية خيالية تعكس أفكاراً وأحاسيس المتكلم المرتبطة بالقضية والتي تقترب في معناها من معنى الفصاحة في روعة التعبير ودقة التصوير، وتكمن أهمية الصورة البيانية الحِجاجية في كونها الأكثر وضوحاً وايجازاً في التعبير عن المعنى المقصود للوصول إلى النتيجة التي يريد المتكلم ايصالها إلى المتلقي.

Abstract

The research aims to the disclosure of the argumentative of the figure thought in the Encyclopedia of the signatures of Imam Mahdi (peace be upon him) by Muhammad Taqi Akbar due to the sermons aimed at changing an existing situation by argument and persuasion through the use of argumentative rhetorical mechanisms that have a significant impact on influencing the psyche of the recipient and pushing him to word a specific action.

It has an important in shaping the discourse to attract the recipient and sway his mind and feeling to words the suggestive and expressive image and to establish an imaginary mental relationship that reflects the thoughts and feelings of the speaker

Related to the case, which is close in meaning to the meaning of eloquence in the magnificence of expression and the accuracy of photography, the importance of the argumentative figure thought lies in its being the most clear and concise in expressing the intended intention to reach the result that the speaker wants to deliver to the recipient.

المقدمـــة

هذه الدراسة تحتوي حِجاجية الصور البيانية وجماليتها في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام التي تتمثل في أسلوبي الاستعارة والكناية، وتهدف إلى بيان المعنى وتقريبه بتحليل الصور البيانية لهذه التوقيعات والتعرف على ماتضمنته من أحكام فقهية وعقديّة وتشريعات، وما أستعمل فيها من آليات في التصوير الفني وتوظيفها حجاجيًا وبلاغَيًّا بطريقة تدعم رسوخ الدلالة ومرونة اللغة وتعمل على تحقيق النتيجة المبتغاة؛ وذلك لما تمتلكه هذه الآليات من طاقة حِجاجية فعّالة تدفع المتلقي نحو الخضوع والاستسلام ثم القبول بالنتيجة باتباع المنهج الاستقرائي والتطبيقي.

والاستعارة تعمل على رسم صورة جديدة تكشف عن روعة ما تضمنه الخطاب من تشبيه خفي مستور بالانتقال من المعنى المجرد والمعنوي إلى الحسي فهي مبالغة في التشبيه مع الإيجاز، بينما تعبر الكناية عن المعاني

ودلالتها بألفاظ لا تعافها الأذواق ولا تمقتها الآذان فلا تكتفي بالمعنى الحقيقي الصريح بل تجعل المتلقي يبحث عن المعنى المراد حتى يتمكن من استنتاج المعنى الضمني بنفسه، فالكناية تضع أمامك الحقيقة مصحوبة بالدليل.

إنّ معرفة بلاغة هذه التوقيعات وغايتها الحجاجية تساعد المتلقي على تقوية ملكاته الذوقية والمعرفية والوجدانية في الفهم والوصول ثم الإذعان لما يعرض عليه من حقائق واطروحات، وهذا ما سنلمسه في كثير من خطاباته عليه السلام لأنّه حجة الله على خلقه كافة للرد على استفساراتٍ في مختلف القضايا الدينية أو الاجتماعية أو السياسة بأبعاد حجاجية تكشف عن ملابسات الخطاب وماهيته؛ كون الصورة الحجاجية تُعد نشاطًا تداوليًا تتطلب حضورًا متزامنًا لطرفي التخاطب والمقام فلا نتمكن من معرفة طرف الا بمعرفة الطرف الآخر وغايته، فوضوح الصورة الحِجاجية يكون بوضوح بنيتها الاستدلالية للمعنى وذلك بتحليل أمثلة من التوقيعات المهدوية.

ومن هنا تناولت هذه الدراسة "**تقنيات الحِجاج البلاغي في موسوعة توقيعات الإمام المهدي(عليه السلام) لمحمد تقي أكبر**" وقد تضمنت في خطتها على:

-المطلب الأول: الحجاج

-المطلب الثاني: الاستعارة الحِجاجية

-المطلب الثالث: الكناية الحِجاجية

-المطلب الرابع: تناول دراسة جمالية الصورة البلاغية في التوقيعات المهدوية لبيان مدى تأثيرها على القارئ في استمالة افكاره ومعتقداته بأخرى أكثر دلالة وبرهان في رسم الصور الحِجاجية

-خاتمة بأهم ما تم التوصل إليه من نتائج في هذه الدراسة

المطلب الأول:الحِجاج

لقد اهتم الفلاسفة والبلاغيون والمحدثون في دراسة الحِجاج بحسب الحقل الذي وُظّف فيه وتعددت تعاريفه تبعًا لذلك، ويُعدّ أرسطو من أوائل الفلاسفة الذين تناولوا دراسة الحِجاج، إذ يرى أَنّ الحِجاج يُبنى على "اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطابي، فالجدل صناعة ملوكية وبها نبلغ الحقيقة" [1]، وعلى "معرفة أنواع النفوس وما يرافقها من أنواع الأقاويل ومدار هذا الركن مبدأ التناسب بين القول والسامع، ومع مراعاة المقامات" [2]، وهذا يدل على أنّ غاية الحجاج هو إحداث التأثير المؤدي إلى الفعل كي ينطلق من تفعيل الفكر ليصل إلى تفعيل العمل وتحقيقه , وسيلته في ذلك خطابية وقناته هي التأثير في ذهن المتلقي عدّ أنه تصور يقوم على ارتباطه بدعوى المتكلم يروم عن طريقه حمل المخاطب على الإذعان لها.

أمّا الجاحظ فهو من البلاغيين الذين درسوا الحِجاج من جوانب عِدّة في كتابه "البيان والتبين" فيقول: "بأنه اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حي يُفضِي السامع إلى حقيقته... لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنّما الفهم والإفهام" [3]، فهو يرى بضرورة انتقاء الحجج التي

تتفق مع المقام والسياق، جاعلاً من البصر بالحجة وسيلة للاختيار مستعملاً أسلوب الكناية حين يرى أَنّ التصريح لا يحقق الغاية التي يريد الوصول إليها في العملية الحجاجية.

ومن المحدثين "طه عبد الرحمن" [4] الذي قسم الحِجاج على قسمين: الأول: توجيهي يعتمد على إقامة الدليل على الدعوى المبني على الفعل التوجيهي، والثاني: تقويمي وهو إثبات الدعوى بالاعتماد على قدرة المتكلم والذي يستلزم إقامة حوار بينه وبين نفسه ليستكشف مدى إمكانية تقبل واقتناع الطرف الآخر بها [5] .

إذن الحجاج هو مجموعة من العلاقات اللغوية التي يتضمنها الخطاب، والمدرجة في اللسان ضمن السياقات الدلالية، يعرض فيها المتكلم حججه للتأثير على السامع وإقناعه بالأفكار والأطروحات، وهذا يتوقف على مدى مناسبة الخطاب وتوافقه مع السامع، وعلى إمكانية وقدرة الوسائل والآليات المستعملة في التأثير، فضلاً عن أهمية الجانب النفسي الذي له أثر في جذب انتباه السامع وميله نحو القبول والإقناع [6] وهذا هو هدف الخطاب وغايته الدلالية والحِجاجية.

المطلب الثاني: الاستعارة الحِجاجية

الاستعارة الحِجاجية هي "تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي في المتلقي"[7]، والاستعارة الحِجاجية "تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي استعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحِجاجية... وهي النوع الأكثر انتشارًا؛ لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية" [8]، وهي تعمل حجاجيًا بوصفها حركة تكشف عن البيان أثناء عملية الاستبدال، وبالنتيجة تنمحي حالة المتكلم عندما يكون قاصراً عن أداء مقصده، والذي يحيله إلى موقع تنبُؤ يستهدف فيه مقاصده ولحين تحقيقها يكون قد أقنع وأفهم [9]، والذي يكشف عن ماهية الحجاج هو التعبير بالدوافع الجدلية والحوارية بالاستعارة الحجاجية [10]؛ "لأن التأثير فيها يتحقق بالتخييل، واستتار الأول (المستعار منه) وبروز الثاني (المستعار له) على أنه مجّسِدٌ للأول شكلاً، ومعنىً، ووظيفةً، وعلى وفق ذلك نجد أنّ الاستعارة قد جعلت المعنويات حسية والجمادات ناطقة؛ لكي تكون مؤثرة في الخطاب فتدفع بالمتلقي إلى الاقتناع بما أريد طرحه " [11].

فالاستعارة تمكن الأنسان من النظر إلى ما يحيط به من الأشياء من زوايا عدة، وتساعده في التعرف على إمكانياته وقدراته للكشف عن الترابطات، أو لَمْح التشابهات معتمدًا على ما يمتلكه من تصورات ذهنية يميز عن طريقها المبهم من الملتبس، فيدرك بذلك جزيئاتها ودقائقها متجاوزًا العقبات التي قد تمنع تواصله مع بني البشر [12]، ومن هذا المنطلق نرى أنّ الاستعارة حاضرةٌ على نحو دائم في الكلام البشري في جميع أجناسه فلم تعد مجرد زخرفة لفظية وتزيين للمعنى بل صارت تحدث تغييرًا في معاني الكلمات ترتكز على عمليات التحسين والتفخيم والمبالغة والتشويق والإثارة الانفعالية والاهتمام بالملامح الأسلوبية كما تُحدِث في المتلقي هزّةً نفسية هائلة

وتبعث فيه تأثيراً انفعالياً يتسامى بالانتقال أولا من الإفادة إلى الإمتاع إلى تحقيق هدفها في الإقناع بالحجة والبرهنة بالحقيقة.

لذا تمثل الاستعارة "وسيطاً ثقافياً يمكن من تطوير المعارف وابتكار التصورات... أنها عملية تنظيم لغتنا، وفكرنا، وسلوكنا ومعظم أعمالنا اليومية وتصاحبنا في كافة أوقاتنا" [13]، فهي تُعد وسيلة تواصلية تنقل المعنى الخيالي إلى معنى آخر يتولد من المقومات الحسية بين المعنيين [14].

المطلب الثالث: الكناية الحجاجية

الكناية من الفنون البلاغية التي تقوم برسم صورة حسية ملموسة وحقيقية عن المعنى الذي تعبر عنه فهي "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك" [15]، والكناية يراد بها " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى" [16]، فالمتكلم يستعمل ألفاظًا تكون مرادفة لمعناه الأصلي، وذلك بالرجوع إلى اللفظ المطلق في الكلام؛ لأن غاية الكناية هي إثبات المعنى فيستدل عليه عن طريق قرينة دالة عليه، فالكناية "مصورة حية وراسمة أيضاً... واحياناً يكون أثرها موجزًا في المعنى بوساطة تقليل اللفظ وهذا ما لا تقدر عليه الحقيقة مثلما تقدر عليه الكناية" [17]، وهي تجعل المعنى أكثر إيضاحًا وبيانًا وتقدمه في إطارٍ فني بليغ تخلق منه صورة جياشة ومشوقة في نفس المتلقي، لا يمكن له أن يراها أو يفهمها إلاّ عند تفتيت ألفاظها وتفسيرها ليتوصل إلى حقائقها وغاياتها.

وهذا يبين لنا أن الكناية "تمثل للذهن المعنى المتجرد بصورة جزيئاته المحسوسة فُيدرك، ومن ثمّ المعنى المقصود مع أخصر طرق من غير استكراه ولا عسر" [18]، فهي تكشف عن مواطن الجمال والبهاء بحسن التصوير وبلاغة التعبير فتجعل الصورة أكثر أبداعاً وروعةً وإشراقا، وهذا يأتي مما تلوح به من معنى يعكس صورته في ذهن المتلقي [19]، وأحيانًا قد يتطلب الموقف استعمال الكناية عندما يكون اللفظ الصريح بعيداً عن الذوق، مشمئزاً للنفس، منافياً للأخلاق والقيم، مداعاة لاستجلاب الأذى والخصومة فيكون أسلوب الكناية أبلغ في التعبير والتشخيص لتلك الحالات [20].

وعلى النحو الآتي الكناية تبادر إلى الذهن في صورة خيالية غير مألوفة للقارئ تضعه أمام معنى مستطرف يتباين في درجة الغرابة والأبداع بتباين قوة الخيال الذي ترسمه فيها، وحسن انتقائها للألفاظ وصياغتها، فترتقي بذلك إلى درجة الكمال في التعبير عن المعنى الذي تخفيه وراء هذا الأسلوب الكنائي.

المطلب الرابع: جمالية الصورة البلاغية في التوقيعات المهدوية

يُعد البيان فرعاً من فروع علم البلاغة يبحث في وسائل التصوير الفني المتنوعة (الكناية، الاستعارة، التشبيه، المجاز)، وقد تنوعت الصور البيانية في توقيعات الإمام المهدي عجل الله فرجه مشكلة قيَّم دلالية جمالية تعمل على إسناد الحجة ودعمها لتحقق غايتها الحجاجية.

إنّ أهمية الاستعارة وبُعدَها التصويري تكمن في أنها تضع الأشياء أمام العيون، وترسم صورها وكأنها حية، بألفاظ ذات حضور فعّال لتحقق الإقناع بها [21]، ومن التوقيعات المهدوية التي رسمت صور الاستعارة الحجاجية

ما نجدها في جوابه عليه السلام الذي جاء للرد على المعادين للإسلام قوله "**تهتزّ بك أطراف الدّنيا بهجة، وتهزّ بك أغصان العزّ نضرة، وتستقرّ بواني العزّ في قرارها، وتثوب شوارد الدّين إلى أوكارها**" [22]، وردت الاستعارة الحجاجية في (تهتزّ بك أطراف الدّنيا، والهزَّ في اللغة "أصل يدل على اضطراب في شيء وحركة" [23]، وهذه استعارة لطيفة تكشف عن الحركة المهدوية للإمام الحجة عليه السلام وأثره في إصلاح الأمة وتوحيد كلمة الله في أرجاء بقاع الأرض لرفع راية الإسلام فوق ربوع العالم بأسره والقضاء على جبروت الظالمين، فيحقق غايته بترسيخ دعائم الدين الإسلامي في أذهان متلقيه لتضيء قلوبهم وعقولهم بنور الإيمان، فالاستعارة في لفظة (تهتز) تمثل حجة داعمة لنشر العدل والقضاء على الطغاة والكفرة المتمثلة بإقامة الدولة المهدوية [24]، وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله "إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك وتعالى له كلَّ منخفض من الأرض، وخفّض له كلَّ مرتفع" [25]، فقوله (تهزّ بك أغصان العزّ نضرة) جاءت لفظة (تهزَّ) استعارة عن الحكمة والروية والتأني في حركة الحجة الاصلاحية فيشبهها بحركة الأغصان في حسنها وجمالها ولينها عندما تميل بفعل حركة الرياح[26]، فنلاحظ أن لفظة (تهزّ) في المقطع الأولى جاءت استعارة عن الحركة والاضطراب، وفي الثاني جاءت استعارة عن طبيعة الحركة ونمطها وهذا يشير إلى "أن المستعير يبلغ بالتشابه بين المستعار منه والمستعار له درجة تنفي معها الاختلاف والتفاوت بينهما" [27]، فالصورة الاستعارية هي تجسيد لفكرة يسعى المتكلم إلى رسمها في ذهنه عندما يتعذر عليه التعبير عنها أو معرفتها حتى يتمكن من إرسال فكرته أو إيصال مفهومها إلى القارئ [28]

وفي قوله (تستقرّ بواني العزّ في قرارها) استعارة عن الخصال والقيم التي تبني المجتمع وتقيم أسسه لإقامة الدولة المهدوية، وهذا يتطلب الثبات والالتزام بقيم الإسلام ومبادئه وقواعده والعمل به [29]، إن بناء الحياة في الكون على هذه القاعدة التي وضع أسسها الله تعالى وسيرها على وفق الناموس الإلهي المقدر لها، هو الذي سمح بوجود الحياة على الأرض لأجل نموها وارتقائها، وسمح بوجود الحياة الإنسانية على شكلها الذي نعهده على وفق حاجات الأنسان ومتطلباته التكوينية والفطرية بشكل يضمن له الاستمرار فيها، وهذا حجة أخرى وبرهان قاطع على دقة صنع الخالق وبراعته في التنسيق بين خلق الكون والأنسان [30]، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿**جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا**﴾ [31].

فالاستعارة لا تكتسب قيمتها الحِجاجية إلاّ حين تستجيب لشرطي التفاعل والانسجام، لاسيما عندما تستعمل لدعم الحجة التي يوجهها للسامع الذي لا يقتنع بمضمونها بعقله إنما بمشاعره، فالاستعارة وسيلة تفرضها طبيعة العلة وغايتها في الخطاب [32].

كما وردت الاستعارة الحجاجية في قوله "تثوب شوارد الدّين إلى أوكارها" فـ (تثوب) استعارة عن الرجوع والعودة إلى الأحكام الإلهية وقوانينها التي حاول المشركون طمسها عن الناس واستبدالها بأحكام ضالة فاسدة، ولفظة (شوارد) هنا جاءت كناية عن ما تُرِك من تلك الاحكام[33]، فالتصورات الاستعارية قد تخرج من مجال طرق

التفكير والتعبير الحرفي إلى المجال الذي نسميه الفكر واللغة المجازيين أو التخيلين [34]، فهي تمثل "نوعًا من التسامي اللغوي المعادل لسمو موضوع التراجيديا ونبله ورقي انفعالاته، وبذلك تعد وسيلة لإدراك المعرفة بواسطة اقتناص علاقة التشابه بين الأشياء المتباينة، وتسهم في إعادة كشف الواقع من جديد ووصفه في حيوته وحركته غير النهائية" [35].

إنّ حركة الإمام مثلت الفكر الإسلامي باتجاهاته ونظرياته المتعددة ليتقرر عن طريقها حقائق العقيدة وكل ما يتعلق بها، فتهز النفس البشرية هزًا تخلعها من كل ما اعتادت أن تسكن وتركن إليه وتتشبث به، لتقرر حقيقة واحدة بأن لا ملاذ ولا ملجأ لها إلا الله الواحد القهار فتلوذ بكنفه وتأوي إلى حماه وتجد عنده الأمن والطمأنينة، فهذه التعبيرات الأنيقة والمنتقاة لتلوين الصور والمشاهد الاستعارية تلتقي مع جوهر حركته فتضغط على الحس وتنفذ إليه في قوة وإيحاء [36].فالاستعارة في هذا الخطاب أبدعت ببراعة تصوير الأحداث، إذ وصفها بطريقة متفننة ومتقنة على وفق آليات حجاجية جعلت كُلاً من العقل والفكر في دهشة وتعجب لما ألّمت به من معطيات بلاغية وحجاجية.

وترد الاستعارة الحجاجية في كتاب جاء من الناحية المقدسة وفيه توقيعاً للإمام عليه السلام قال فيه **"فَاتقُوا اللهَ وَظَاهِرُونا على انتِيَاشِكُم مِن فِتنةٍ قَد أَنَافَت عَلَيكُم"** [37] ، تضمن الخطاب الحجاجي جملة من الوصايا المهدوية للمؤمنين، فنجد أن لفظة (ظاهرونا) هي استعارة عن مناصرة صاحب الأمر، ولفظة (انتياشكم) استعارة عن النجاة والانقاذ، إشارة لتوجيه المسلم بنصرة إمامه في محاربة قوى الشر والعدوان دون كلل أو ملل، فالاستعارة "بوصفها تمثيلاً مركباً من تخيل وتصوير، هي شكل خطابي يدفع بالحجة إلى مستوى لا يتحدد معه ميزان لمعرفة قيم الحقيقة، فيقع البرهان بسلطة لا تنقضي" [38].

والاستعارة تدعم حجة الجهاد في سبيل الله للقضاء على الفتن وتحطيم كل قوة من شأنها أن تعترض طريق الدعوة أو تهدد اعتناق العقيدة وتنشر الفتن بين الناس، وهذا هو منهاج العقيدة الذي يحمي أحكامها وشريعتها من المنافقين الذين يحاولون طمسها، لتؤكد بذلك حقيقية إلهية واحدة وهي إقرار الإسلام وعقيدته حتى يتمكن كل مؤمن من اللجوء إليه دون أن تكون هناك قوة تمنعه أو تفتنه وهذه هي قاعدة أحكام الجهاد [39]، فالحجة الناجعة تمثل عنصراً استراتيجياً فعّالاً في الخطاب يبرز عن طريقها قوة المزاعم ووثاقة الآراء [40].

كما نلحظ أن في الخطاب تحذيرًا وتنبيهًا للمؤمنين من الفتن التي قد تفرق صفوفهم وتزرع الانقسام بينهم، فقوله (أنافت عليكم) استعارة عن الإطالة والارتفاع، وهذه إشارة عن قوة وشدة الفتن المنتشرة بينهم بشكل يصعب السيطرة عليها أو النجاة منها، فالاستعارة الحجاجية عملت على تقوية الحجج ودعمها عن طريق توجيه وتحذير المتلقي بأن يكون متيقظاً وحذراً في كل زمانة ومكان، ولا يتناسى أو يغفل عن الاستعانة بإمام زمانه ونصرته في مواجهة هذه الفتن للوصول إلى النجاة، وذلك لا يمكن حصوله إلاّ عند الالتزام بتقوى الله عَزَّ وجَلَّ والابتعاد عن المحرمات والمعاصي والعمل بالفرائض والأوامر الالهية [41]، فالتقوى هي "زمام القلوب الذي يمكن أن تقاد منه طائعة ذلولة في يسر وفي هوادة، وبهذا الزمام يقود القرآن هذه القلوب إلى إصلاح ذات بينها" [42]، قال تعالى

﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾(سورة الانفال: الآية 1)' "فجوهر الاستعارة وخصيصتها الأساس يكمنان في الخرق الدلالي والمنطقي في المقام الأول" [43].

وتكون الأهداف في الاستعارة الحجاجية متباينة بحسب السياق الذي ترد فيه، إذ تقوم على توجيه الخطاب بمضمونه عن طريق التوافق المشترك بين أجزاء من صفاته وخصائصه مع حقيقة الواقع بتداخل المستعار له مع المستعار منه وبالعكس، فنجاح العملية الحِجاجية نحو تحقيق أهدافها في التأثير والإقناع يعَدِّ الحقيقة هي الأساس الذي تُبنى عليه الاستعارة [44]' فالاستعارة ينظر إليها بكونها "إضافية وزخرفية للغة، تستعمل بطرق محددة وفي أوقات وأماكن محددة... فهي ضرب من التبجيل ومقّوم مفعّم بالحيوية" [45]' وهذا بدوره يؤكد حسب رأي سورل "أن القول الاستعاري تتحكم فيه قَصْديّه المتكلم الذي يتلفظ بطريقة تبتعد عما تعنيه الكلمة أو العبارة في الاستخدام المألوف، كما تحدده قواعد المحادثة التي تشكل قاعدة مشتركة بين المتكلم والسامع" [46]' فالاستعارة لها القدرة الكامنة على خلق واقع جديد وذلك عند فهم الحقائق التي تشير أو تحيل إليها، لتصبح واقعاً حياً عميقاً وملموسًا تعمل على وفق مقتضياته، فينشأ بذلك نسق تصوري جديد يخفي النسق التصوري القديم، فتكون هذه التصورات أدوات للإنجازات والنشاطات التي نعمل بها [47].

فتطويع نفوس المؤمنين في الصبر والخضوع لأوامر القيادة الحكيمة للنهوض بالدور العظيم الذي نيط بهم في بناء الأمة الإسلامية، فأنه يقتضي ضبط النفس وتطويعها لقيادة تقدر وتدبر، وهذا هو واجب الأمة المسلمة في الدفاع عن المنهج الإلهي والتصدي لكل من يتعرض لهم بالأذى والفتنة بما يضمن لهم حرية العقيدة وتحقيق الاستقرار [48]' وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾(سورة البقرة: الآية 193)، فالفتنة اعتداء على مقدسات الحياة البشرية تقوم بممارسات تضَّل الناس وتبعدهم عن دين الحق والهداية.

إنّ غاية الخطاب الحِجاجي هو التلويح بأن لا يفتن الناس عن دين الله وهذا هو هدف الإمام الحجة وغايته في خطابه الحجاجي[49]' كون الاستعارة " أداة مفاهيمية ولغوية مهمة لإنجاز الإقناع" [50] تربط بيم الحقيقة والخيال فتكشف عن جوانب اللغة الإبداعية وتخلق لدى السامع معارف وخبرات لبنية تصورية جديدة.

وجاءت الاستعارة الحجاجية في توقيعاً للإمام المهدي عليه السلام قوله "**اللهم إن شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا، اللهم اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتكالا على حبنا وولائنا يوم القيامة، ولا تؤاخذهم بما اقترفوه من السيئات إكراما لنا، ولا تقاصهم يوم القيامة مقابل أعدائنا فان خففت موازينهم فثقلها بفاضل حسناتنا**" [51]' جاءت الاستعارة في قوله (فاضل طينتنا)، و(فاضل) في اللغة (الزائد عن الحاجة) [52]، إي (بقيَّتها)، وهي استعارة عن (شعاع نور الحقيقة المحمدية)، والمراد بها ما تبقى من النور وهو الشعاع المنبثق منه فخلق الله سبحانه الشيعة من هذا الشعاع [53]' فالاستعارة هي من طرق إثبات المعنى وتأكيده، والمعنى الذي يستخلص منها لا يكون المعنى الأصلي للفظ إنما يكون معنى جديداً انبثق من تفاعل كلا الطرفين[54]' جاء هذا المعنى في حديث للرسول ﷺ قوله "يا علي أنت مني وأنا منك، روحك من روحي وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فاضل طينتنا" [55]، فأهل البيت عليهم السلام بنورهم وحقيقتهم هي حجة وعلة لكينونة جميع الكائنات الفائضة عنهم بالفيض الصدوري، وقد خلق الله تعالى عباده من هذه الحقيقة المحمدية؛ كونها واسطة فيضه في وصول

آثار نعمه وكرمه ولطفه إلى خلقه، ومن أكرمها نعمة الوجود قال تعال﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ (سورة المؤمنون:الآية 12)، فالوجود التكويني هو من صنعه وتدبيره عزوجل فيه من الكمال والتناسق ومحكم الشرائع والقيم وكل ما يستجيش الفطرة ويغذيها، إذ جعل الحياة البشرية جزءً من الناموس الكوني تحت رعايته وحفظه [56]، وهذا ما ذكر في قول الإمام الصادق عليه السلام "إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته"[57].

فالقول الاستعاري يتميز بصفتين: الأولى قول حواري، حواريته صفة ذاتية فيه، والثاني قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي الذي تخصه باسم (التحاجج) وهو يؤلف مرتبة ثالثة في البرهان والحجاج [58]، وهذا يستدل على أن الاقوال الاستعارية تستند على الدوافع الخطابية في تحقيق أغراضها الحجاجية في الرسوخ والسيطرة على مكنونات عقل السامع وتفكيره.

وجاءت الاستعارة في قوله (عجنوا بماء ولايتنا) عن تثبيت الأقدام بماء الولاية، و(ماء الولاية) هو الفيض الإلهي وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام فمولاة أهل البيت تمنح القلب قوة الثبات على الإيمان بالعقيدة [59]، منها الاعتقاد بوحدانية الله، الاستجابة الوجدانية لذكره، والتأثر القلبي بآياته وغيرها من الصفات الأخرى التي يجدها المؤمن في نفسه وفي عمله، ولكون الاستعارة "فن محاكاتي، وأداة معرفة، وأداة الاقتراب من الحقيقة" [60] ، فان أثرها في محاكاة المشاعر الإنسانية "يحدث عن طريق ضم المألوف إلى ما هو غير مألوف، فهي تضيف السحر والاختلاف إلى جانب الوضوح" [61]، فثبات الأقدام مرتبط بالإيمان الذي يتجلى بصورة عملية واقعية يثبت فيها وجوده ويترجم حقيقته [62]، وقد ورد هذا في قوله تعالى ﴿**وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ (سورة الانفال: الآية 11)، فالاستعارة تتميز بأنها ترسم صورة حسية للألفاظ توحي بمعاني ذات تأثير شديد الوقع على النفس، إذ أنها "ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسمت حتى رأتها العيون، وتلطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تراها إلاّ الظنون" [63] ، فالخطاب الاستعاري يبين صفات أهل البيت وكرمهم في عنايتهم بالخلق، فأن غفران الذنوب وتجنب المعاصي والآثام موكل بالولاء لائمة أهل البيت وأتباع وصاياهم وتعاليمهم في السير على نهج الشريعة الإسلامية.

ومن خصائص استعارية اللغة أن المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يتلازمان في التعبير أو يتعاندان [64]، والاستعارة "تعمد إلى التركيب فتحلله إلى مقوماته، ثم تنظر إلى مدى توافقهما واختلافهما، فكلما كثر التوافق صارت الاستعارة أقرب إلى الحقيقة، وكلما كثر الاختلاف صارت هناك مسافة توتر وتبيان" [65]، والاستعارة في هذا الخطاب تقيد اللغة بمقام كل من المتكلم والسامع، بأمثلتها المعرفية والتقديرية المختلفة، وبعلاقتهما التواصلية والتفاعلية، فينهض المستعير بالعمل على أجراء تغيير في هذه الانساق والمقاييس ليتمكن من دفع السامع إلى الاقتناع بها والالتزام بمعاييرها ومن ثم القبول بها [66].

فالاستعارة الحجاجية في الخطاب تؤكد مدى سماحة أهل البيت عليهم السلام وكرمهم ومروءتهم واخلاقهم الإلهية تجاه شيعتهم تجعل من الموالاة والاقتداء بهم والتسليم لهم واجباً مفروضاً على كل فرد مسلم لإحياء تعاليهم الإسلامية والدفاع عنها، وقد وضع سبحانه وتعالى أمام النفس البشرية تعاليمه وشرائعه وأحكامه ومنحهم الحرية في اختيار طريق الخير أو طريق الشر، جاعلاً من التقوى وتزكية النفس والهدى أساس المفاضلة بين المؤمن بالله وبدينه

وبين الكفار الجاحد بنعمة ربه، وطريقاً يوجه نحو الأصلح والأفضل، ووسيلة للتفكير بقوة وسلطة خالق الكون في الصنع والتدبير الإلهي، والشكر والامتنان على كرمه ونعمة.

إنّ للصورة الاستعارية وظائف عدة تمثلت بالمبالغة والتأكيد، والتوضيح والإبانة، وإبراز المعنى في معرض حسن، فهي على ضوء هذه الوظائف لا تعدو أن تكون ترجمة حسنة أو نقلاً مؤثراً لمعان ثابتة مقررة سلفاً، أي أن المعنى الاستعاري بهذا التصور هو مادة قديمة جديدة الإخراج [67].

وبهذا أثمرت الاستعارة في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام في زيادة أفق اللغة واتساعها، وأسهمت في تحقيق المراد من تكثيف التراكيب اللغوية المنطلية في التوقيعات نفسها، كما أنها سايرت الواقع الاجتماعي الذي ولد الإمام وترعرع فيه والذي كانت العناصر البلاغية طاغية على نصوصه على الرغم من أنّ الإمام كان معتمداً على الاتجاه المرسل في الكتابة فلم ينتقل نصه بالعناصر الإيحائية على نحو كبير، بل كان ورودها جميلاً وسلساً لا تعقيد فيه.

أمّا الأسلوب الكنائي فإنه يمتلك طاقات تعبيرية عالية الدقة في استجلاب المعنى وحضور الفكرة أمام المتلقي، ويرسم صور بيانية بإشارات وإيحاءات دلالية على مختلف المستويات اللغوية ترتبط بالسياق والمقام، تعمل على زيادة فاعليتها وتأثيرها على نفس المتلقي فيكسبها رونقاً بارع التصوير للمعنى المقصود.

جاءت الكناية في توقيعه عليه السلام الذي كان رداً على الغلاة [68] قوله "**يا محمّدُ بنُ علي قد آذانا جهلاءُ الشيعةِ وحمقاؤهم، وَمَن دينُه جناحُ البعوضةِ أرجحُ منه... وأشهد كل من سمع كتابي هذا، أني برئ إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يحلنا محلا سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له** " [69]، نلحظ هنا أن الشاهد الحجاجي الكنائي جاء في قوله (جناحُ البعوضة) وهو كناية عن (الضعف والصغر والتحقير)، فالبعوض أضعف المخلوقات التي تدل بمعناها على (القلة والضعف) [70] فهي "غاية ما يكون من الحقارة وضعف القوة وخسة الفعل" [71]، والخطاب جاء في إدعاء جهلة الشيعة باستقلال أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الله عَزَّ وجَلَّ في القدرة والقوة والعلم بالغيب وعدم الحاجة إليه، إذ وصلت مغالاتهم إلى درجة الألوهية، وهذا دليل على ضعف الإيمان والجهل بعظمة الخالق؛ لأن ما يمتلكه أهل البيت من العلم والحكمة والمعجزات هي من عطاء الله لهم لعظم مكانتهم لديه [72]، فجاءت الكناية الحجاجية في الخطاب بنفي وبراءة أهل البيت من أقوالهم إذ "تصور المعنى تصويراً واضحاً مصحوباً بما يؤيده ويكون كالحجة له... تمثل الصفة الخفية ظاهرة مرئية تجعلها مستقرة يتبعها أثرها وتحقق ما يلازمها فيها الدعوى ومعها الدليل المؤيد لها" [73]

وقد استعمل الخطاب أسلوب الاستهزاء والتوبيخ في وصف حال الناكبين عن صراطه وهي تمثل ضعفهم بأصغر الأشياء وأحقرها بطريقة تمنع تسرب الشك إلى نفوس المؤمنين وتغرس بذر الخصيب في تنفير المشركين [74]، فهي "تنتج تقارب بين حقيقتين متباعدتين نوعاً ما، عفوية التخييل لا تخضع لتقارب واعٍ في ذهن القارئ، بل بالعكس تنتج التحاماً خاصاً من خلال خروقاتها" [75]، فاستعمال هذا اللفظ الكنائي (الاستحقار والاستضعاف والاستصغار) في المحاججة للذين ينكرون الصانع ويجحدون بالخالق وآياته أسهم في رفع الحجب عن السامع في معرفة الغرض الذي يؤديه معنى الخطاب[76]، وهو "التنبيه على عظم القدرة" [77]، جاء في قوله

تعالى ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾(سورة البقرة: الآية26)، فالآية الكريمة تمثل عبرة وحجَّة على من جحد وأستكبر[78]، فالأنسان بغير إيمان حقير صغير، حقير المطامع وصغير الاهتمامات، مهما كبرت أطماعه واشتدت وتعالت أهدافه يظل سجيناً في سجن الذات... لا يخرجه منها إلاّ الاتصال بعالم أعظم من الذات وأكبر من الكون يصدر عن الوجود الإلهي والأزلي والأبدي، فمخالطة الإيمان لقلبه يغير من معتقداته وقيمه وتصوراته ويبدل كنوده وجحده وشحه اعتراف وشكر بفضل ونعمه ويحطم قيد النفس ويُطلقها [79]، فالكناية " ليس حقيقتها الشكل المادي التعبيري، بل تجاوزتها إلى ما ورائها من حقيقة نفسية ، فمجيئ الكناية بمثابة البرهان للحقيقة النفسية" [80]، فالكناية جاءت للتأكيد على أن ما يدعه هؤلاء في مغالاتهم لأهل البيت عليهم السلام والذي هو دليل على الكفر والشرك بوحدانية الله سبحانه وتعالى.

وقد وردت الكناية الحجاجية في التوقيعات المهدوية في قوله "**مُقَدَّسَةٌ قُلُوبُهُمْ مِنْ دَنَس النِّفَاقِ، مُهَذَّبَةٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ رجْس الشّقَاقِ، لَيِّنَةٌ عَرَائِكُهُمْ لِلدِّين، خَشِنَةٌ ضَرَائِبُهُمْ عَن الْعُدْوَان، وَاضِحَةٌ بِالْقَبُول أَوْجُهُهُمْ، نَضْرَةٌ بِالْفَضْل عِيدَانُهُمْ**" [81]، هنا يذكر صفات قادة الإمام المهدي عليه السلام وأتباعه إذ أن الإسلام يُنشِئُ الفرد على مبادئه القائمة على توجه القلب نحو الإخلاص والولاء لله تعالى، ولرسوله، ولعقيدته، ولجماعته المسلمة مبتعداً عن البغض واللؤم [82]، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله "**حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا الأندر فالأندر**"[83]، وهذه من صفات الإنسان المؤمن بدينه وعقيدته، ومن وسائل المنهج الإسلامي في تكوين المجتمع ليقوم كل فرد بدوره في الحفاظ على عقيدته وفق مبادئ الإسلام ومقوماتها الثابتة فيعمل على تقريرها في نفس الجماعة المؤمنة في كل جيل، كما يميزهم عن الذين ينقصهم الوعي والأدراك والحس بحقيقة الإيمان[84]، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة الأنعام: الآية 54).

فحِجاجية الكناية في الخطاب عملت على تأكيد وإثبات "أن المعرفة القلبية متجردة لا تتعلق بالصور كما في المعرفة العقلية، بل هي الارتباط بالشيء بنحو ما...؛ كون القلب يرتبط بحقائق الأشياء من دون توسط الصور المادية" [85]، وبهذا فأن الإيمان بالله يوجب نية قلبية خالصة من كل ما قد يشوبها أو يعكر صفوها، وهنا الكناية "تسوق تعبيراً ظليلاً يحرك الفكر ويبعث على التأمل، وهي سمة من السمات الفنية في التعبير يبعده عن الرتابة التي تنشأ من طول استخدام الألفاظ في معانٍ محدودة مألوفة" [86]، فالقلب يدرك حقائق الأشياء بوجوده العيني وهويته العينية [87].

أمّا في قوله (مقدسة قلوبهم من دنس النفاق) جاءت كناية عن نزاهة القلب وسلامته من الدنس والإثم والاعتقاد الباطل [88]، تميز القلوب الطاهرة عن المنافقين الذين جعلوا من الإيمان وسيلة يخفون بها أمرهم في الكيد بالآخرين ولا يصرحون بحقيقة شعورهم [89] ، جاء في قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة البقرة: الآية 8).

فالكناية رسمت صورة للمفاضلة بين حزب الله وحزب الشيطان ليكون الانحياز النهائي للذين نفضوا قلوبهم من أعراض الدنيا الفانية واجتمعوا تحت لواء الإسلام وانقطعوا عن كل شيء فيها ووصلوا انفسهم بالله فتقبلهم في

كنفه وأشعرهم برضاه عليهم، وكان الإيمان هو المصدر الذي ألهم قلوبهم وأمدهم بالقوة والثبات [90]، "إن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها هو شاهد على وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها فتنبئها هكذا ساذجاً غفلاً، وذلك أنه لا تدعى شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن المخبر التجوز والغلط" [91]، فتجعل المتلقي عاجزاً أمام قوة حججه التي يدعمها بالبراهين والأدلة ويسوقها إليه.

أمّا قوله (مهذبة أفئدتهم من رجس الشقاق) جاءت كناية عن القلوب المشرقة بتعظيم الله تعالى وتمجيده [92] من النزاع والانقسام البعيد عن الحق [93]، فالأنسان كلما زاد خضوعه وخشوعه لله، وابتعد عن البطر وسوء الظن بالأخرين، والتعالي على الخلق، كلما زاد هذا من تمسكه بعقيدته ودينه ويكون إقراره به أثبت وأمتن وأعظم [94].

وفي قوله (لينة عرائكهم) كناية عن الاسترخاء وهدوء الأعصاب، ويراد بها (الناعمة والرقيقة) [95]، وهنا تشير إلى الصفات التي يتصف بها أصحاب الإمام واتباعه المتمثلة بالبشاشة السمحة، الكنف الرحيم، الودّ والعطف، القلب المملوء بالبرَّ، والكرم، والرعاية، والرضا، بعيداً عن الغضب وضيقة الصدر؛ لكي تتآلف القلوب مع بعضها وتجتمع حول راية الإسلام في ظل عناية الباري ولطفه ورحمته [96]، فالكناية " تكون حسنة إذا جمعت بين الفائدة ولطف الشارة" [97]، فهي لها أسلوبها الخاص في تحصيل المعنى لتوصله إلى المتلقي بأبهى صورة وأجمل رونق تمنحه لمسة ودية تخترق نفس المتلقي في التلقي والتأثير.

كما جاءت حِجاجية الكناية في قوله (خشنة ضرائبهم) وهي كناية عن حد السيوف في حدثها ومضاءها [98]، وفيها إشارة إلى شدة عزمهم على مواجهة الرافضين والمعارضين للدولة المهدوية وإلغاء أي تيار فكري فاسد، وضال منحرف يحاول الوقوع بها، وهذا يتطلب القوة والعزم والإصرار بعيداً عن وسوسة الشيطان وشحة النفس لتوحيد ونصرة الشعوب الإسلامية في ظل مجتمع يسوده العدل والأمان[99]، جاء في حديث للإمام الصادق عليه السلام قوله "**المهدي وأصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها**" [100]، فينتصر بذلك المنهج الإلهي في الحياة الذي تتوارى فيه المطامع والشهوات، والشخوص والذوات وهي تبذل أقصى طاقتها وقوتها في سبيل الدعوة بعد التوكل على الله [101]، ورد في قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ**﴾(سورة الحج: الآية 41)، فأن لله شريعة ومنهاجاً للحياة تستند على قواعد وموازين وقيّم وتصّور خاص للوجود والحياة الإنسانية، ولا يتحقق نصر الله إلاّ بنصر شريعته ومنهاجه ومحاولة تحكيمها في الحياة بدون استثناء [102]، فهم بهذه الصفات خلصوا إلى الله بأنفسهم ومشاعرهم وتصوراتهم ليحققوا شرطه في النصر وتثبيت الأقدام [103]، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿**اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (سورة محمد: الآية 7)، وبذلك يجسد أسلوب الكناية في المحاججة "صورة كاملة السمات، ناطقة بدخائل النفوس، وشواهد الملامح، تسجل المشاعر الباطنة والانفعالات الظاهرة والحركة الذاهبة الآبية، وتسجل بذلك كله نموذجاً ثرياً مكرراً في كل زمان وكل مكان" [104].

وتستمر الصورة الكنائية المتتالية بعرض صفات المسلم في عبادته لله ظاهراً، وباطناً، واعتقاداً، وقولاً، وعملاً، فتكسبه النجاح والفلاح وتمنحه القناعة والرضا [105]، فقوله (واضحة بالقبول أوجههم) كناية عن الرضا بالشيء عن يقين وخلوه من التردد أو الشك، فالقبول هو استعداد القلب للخضوع والتصديق والتيقن في تثبيت الحق

والعمل به، وهو يأتي لإقرار المعنى في قلب السامع، والتمهيد له لغرض التسليم للقضية المطروحة، فالقبول هو ضد الرد، أي يتلقى السامع فكرة ورأي المتكلم وحجته بسعة ورحب، مما يدل على مدى التقدير والاحترام لرأي الطرف الآخر [106].

وفي قوله "نظرة بالفضل عيدانهم" كناية عن صفات اللين والانعطاف، أو الانحناء والتثنّي[107]، التي تزين سلوك صاحبها في تعامله مع الآخرين وتساعده على جذب الطرف الآخر في التفاعل معه لقبول الفكرة والأخذ بالرأي المقترح، فذلك يشعر القلب بالاستئناس، والنفوس بالارتياح، وتمكن المتكلم من تحقيق أغراضه في العملية الحجاجية، فمن "صور الكناية ما يعدل فيها عن الحقيقة، لا لقبحها وثقلها على الإسماع والطباع، لكن إلى ما هو آنس للنفس، وأوقع في الحس، وأدخل في الأعجاب والإعجاز" [108]، وبذلك جعلت حجاجية الكناية الحجج متفاعلة ومترابطة مع الواقع والحقائق المعروضة، لتثبت مصداقيته في الغرض المعنوي الذي تحاول الوصول إليه. وهنا نلاحظ أن الكناية في الخطاب "تخاطب الذهن والوعي وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة التصويرية تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى... ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد" [109].

نلحظ أن الكنايات المتعددة تؤلف سلسلة من العلميات الفكرية والتي عبرت عنها بالتلويح والإشارة، مما يدل على كثرة الوسائط التي تنقل ذهن القارئ من صفة إلى صفة أخرى تبين محاسنهم وحسن اعتدالهم في مواجهة القضية [110]، إذ وضعت أمام المتلقي صورة موحية ومعبرة تلامس النفوس وتبهر العقول ببلاغة الألفاظ وروعة التعبير وجمال التصوير، وهي تعرض الأفكار وتشخص جوانبها الحجاجية وغايتها فكراً وتأملاً، يقول صاحب المفتاح "أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم" [111]، فالملزوم في حدّها كل ما يلزم من تصوُّر تصوُّر غيره، يلزم من تصوُّره بشفاعة القرينة تصوُّر المكنى عنه، فتكون الكنايات ملزومات بهذا المعنى" [112].

إنّ الكناية تبادر إلى الذهن في صورة خيالية غير مألوفة للقارئ تضعه أمام معنى مستطرف يتباين في درجة الغرابة والإبداع بتباين قوة الخيال الذي ترسمه فيها وحسن انتقائها للألفاظ وصياغتها، فترتقي بذلك إلى درجة الكمال في التعبير عن المعنى الذي تخفيه وراء هذا الاسلوب الكنائي.

الخاتمـــــة

وبعد الدراسة المستفيضة في حِجاجية الصورة البيانية في توقيعات الإمام المهدي عليه السلام توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي تبين مدى العمق الدلالي الذي تضمنته التوقيعات المهدوية وعلى النحو الآتي :

1-التوقيعات المهدوية أساليب لغوية بلاغية، بيانية، ذات ايقاعاتٍ أسلوبية رفيعة التراكيب اللغوية تحمل في مضامينها القوانين والأحكام والتشريعات والتوجيهات التي تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض في المجتمع، كما تنظم سياسية الدولة في الحكم وفي إدارة شؤون الأفراد، إذ تميزت إجاباته عليه السلام في النصوص الخطابية بإيجاز اللفظ وغزارة المعنى، وهي إمّا للنصح أو للإرشاد أو للوعظ، وهذا بدوره ينمي قوة الإحساس بالأمان والاستقرار، ويبني الثقة في نفوسهم بحكمة وعدالة إمامهم، وفي غرس روح الإيمان في قلوبهم والثبات على الدين الإسلامي.

2-يُعدَّ الحِجاج من الدراسات اللسانية الحديثة الذي يسعى إلى إحداث الإقناع والتأثير عن طريق عرض الحجج والأدلة والبراهين النظرية أو العقلية بوسائله المختلفة من عوامل وروابط فيشكل ثروة لغوية وثورة حجاجية على العقل الإنساني ليكشف عن طريقها المغالطة والمشاكلة وأبعاد الخلاف في القضية معتمداً على ماهية الخطابة وأهدافه الحجاجية وعلى كفاءة المتكلم وقدرته في التعبير وعرض الحقائق.

3-وقد تعدد الأساليب البيانية التي تتجلى في التوقيعات المهدوية مؤلفة صورًا بلاغية ذات معالم جمالية وقيم دلالية تسهم على نحو فعّال في دعم الحجة وتقوية معناها وتلفت انتباه المتلقي إلى مدى قوتها في التأثير والإقناع، لتستبدل أفكاره ومبادئه بأخرى قائمة على قيم الإسلام وعدالته الإلهية تنشأ للفرد مجتمع زاخر بمبادئ العقيدة الدينية والشرائع السماوية.

4-تتجلى الاستعارة في قدرتها على دفع المتلقي نحو التفكير والتأمل وهي قائمة على معطيات عقلية ووجدانية محققة انسجاماً وتلاؤماً فيما بينها ليتكون من هذا الاختلاط صورة معنوية حسية مفعمة بالمشاعر والأحاسيس تتميز بحسنها وقوتها الذي يعكسه جمال الصياغة اللفظية وبراعة التصوير مما يجعلها أكثر دهشة وغرابة للقارئ، فتكون طريقاً تنير العقول البشرية وتنقي قلوبهم من الشرك والدنس إلى التوحيد والإيمان.

5-إنَّ توقيعاته عليه السلام ذات استدلال عقلي ومنطقي إذ تضيف الكناية لصورها البيانية ظلالاً يعكس جمالية تشكليها الخطابي وروعة تصويرها الحجاجي، وتكشف مدى العمق والكثافة الدلالية للمعنى في عرضها للحقائق والوقائع محققة بذلك غايتها في الإمتاع والإقناع والتأثير الذي يمكن السامع من الوصول إلى المعنى الباطن بيسر وسهولة.

الهوامـــش:

(1) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم: 80 – 83

(2) م. ن: 80

(3) البيان والتبين: 76/1

(4) طه عبد الرحمن: فيلسوف مغربي متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق، ويعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين

(5) ينظر: اللسان والميزان أو التكّوثُر العقلي: 228

(6) ينظر: التداولية والحجاج: 21

(7) اللغة والخطاب: 219

(8) اللغة والحجاج: 108

(9) ينظر: الفلسفة والبالغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: 157

(10) ينظر: اللسان والميزان أو التكّوثُر العقلي: 313

(11) اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: 181

(12) ينظر: الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: 14

(13) بنيات المشابهة في اللغة العربية: 57

(14) ينظر: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج: 120- 121
(15) مفتاح العلوم: 402
(16) علم البيان: 203
(17) البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري: 335
(18) فلسفة البلاغة: 745
(19) ينظر: الاصول الفنية للآداب: ص182
(20) ينظر: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية: 151
(21) فن الخطابة: 221- 225
(22) بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار: 36/52
(23) مقاييس اللغة: 9/6
(24) ينظر: الامام المهدي(عج) ودولة العدل (مقالة)
(25) بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار: 52 /328
(26) الرائد(معجم لغوي عصري): 809
(27) اللسان والميزان أو التكّوثُر العقلي: 305
(28) ينظر: الاستعارة في النقد الادبي الحديث (الابعاد المعرفية والجمالية): 27
(29) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: 1/ 478
(30) ينظر: في ظلال القرآن: 3092/5
(31) سورة غافل: الآية 64
(32) ينظر: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: 32
(33) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: 1/ 478
(34) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها:31
(35) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: 41
(36) ينظر: الاساس في التفسير: 11 /294
(37) الاحتجاج: 323/2
(38) الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: 159
(39) ينظر: في ظلال القرآن: 187/1
(40) ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: 286
(41) شمس خلف السحاب (مقالة)
(42) ينظر: في ظلال القرآن: 1474/3
(43) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: 199
(44) اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية): 179
(45) الاستعارة: 20

*جون سيرول: فيلسوف أمريكي مشهور بمساهماته في فلسفة العقل وفلسفة اللغة له تداعيات مهمة في مجالات اخرى، نظرية المعرفة، علم الوجود، الدراسة الاجتماعية للمؤسسات.

(46) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية: 210
(47) ينظر: التولد الدلالي في البلاغة والمعجم: 101
(48) في ظلال القرآن: 1/ 185
(49) في ظلال القرآن: 1/ 189-190
(50) الاستعارة في الخطاب: 197
(51) بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار: 53 /303
(52) الرائد:590
(53) ينظر: موقع بشرى حياة
(54) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: 226
(55) روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: 296/2
(56) ينظر: في ظلال القرآن: 2474/4
(57) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد(ع):100
(58) ينظر: اللسان والميزان أو التكّوثُر العقلي: 310
(59) ينظر: تثبيت الاقدام بماء ولاية أهل البيت(مقالة)
(60) الاستعارة الحية: 10
(61) الاستعارة: 20
(62) ينظر: في ظلال القرآن: 3/1474-1477
(63) الميسر في البلاغة العربية دروس وتمارين: 122
(64) ينظر: في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: 49
(65) تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص):91
(66) ينظر: اللسان والميزان أو التكّوثُر العقلي: 312
(67) ينظر: الصورة البيانية في الموروث البلاغي: 147
(68) الغلاة هم شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباده وهم أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا
(69) الاحتجاج: ص289
(70) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 1/ 339
(71) تفسير البحر المحيط: 1 /268
(72) ينظر: كتابات في الميزان: على ضفاف الانتظار: حسين عبد الرضا الاسدي (مقالة)
(73) البلاغة العربية تأصيل وتجديد: 108
(74) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 358/1
(75) اللغة في الادب الحديث بين الحداثة والتجريب: 234
(76) ينظر: صفوة التفاسير:1/ 45- 46
(77) البرهان في علوم القران 301/2
(78) ينظر: الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: 97/1- 98
(79) ينظر: في ظلال القرآن: 3958/1

(80) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: 69
(81) بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار:52 / 36
(82) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: 554
(83) بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار: 52 /114
(84) ينظر: في ظلال القرآن، 2/906-907
(85) الامامة الالهية (بحوث آية الله الشيخ محمد السند):98/1
(86) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية: 150
(87) ينظر: الامامة الالهية (بحوث آية الله الشيخ محمد السند): 101/1
(88) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 23 /137
(89) ينظر: في ظلال القرآن: 3573/6
(90) ينظر: في ظلال القرآن: 6 /3515
(91) دلائل الأعجاز: 110-111
(92) ينظر: طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب: 192
(93) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 17 /403
(94) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: 1 / 587-588
(95) الأسماء ومعانيها: 274
(96) ينظر: في ظلال القرآن: 500/1
(97)علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع): 306
(98) ينظر: اعيان الشيعة: 468/4
(99) ينظر: سمات المنتظرين: 106
(100) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: 475
(101) ينظر: في ظلال القرآن 2427/4
(102) في ظلال القرآن: 3287/6
(103) ينظر: في ظلال القرآن: 3288/6
(104) في ظلال القرآن: 452/1
(105) ينظر: علاقة العبد بربه سلسة الاسلام منهج الحياة:38
(106) ينظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث: 435/3
(107) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 73
(108) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: 71
(109) مشاهد يوم القيامة: 98
(110) ينظر: علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع): 306
(111) مفتاح العلوم: 403
(112) ينظر: طرائق البيان: 44

المصادر والمراجع

- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم: اعداد: فريق البحث في البلاغة والحجاج، اشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية كلية الآداب منوبة – تونس، ط1، 1998م
- البيان والتبين: أبي عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت، ط4، 1970م
- اللسان والميزان أو التكّوثُر العقلي: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي – رباط – المغرب، ط1، 1998م
- التداولية والحجاج (مدخل ونصوص): صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر– الاصدار الاول، 2008م
- اللغة والخطاب: عمر اركان، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة، ط2011،1م
- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط 1، 1426هـ . 2006م
- الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي: عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف – الجزائر، ط1، 2009م
- اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية): مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف – لبنان، ط1، 1436هـ – 2015م
- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: عطية سليمان احمد، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامع – القاهرة – مصر، 2014م، د. ط.
- بنيات المشابهة في اللغة العربية: عبد الإله سليم، دار توبقال– المغرب، 2001م، د. ط.
- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج: عبد السلام عشير، الدار البيضاء– افريقيا الشرق – المغرب، 2006م
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ط2، 1407هـ – 1987م
- علم البيان: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت، 1405هـ – 1985م، د. ط.
- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري: رابح دوب، دار فجر للنشر والتوزيع – القاهرة، ط2، 1999م

- فلسفة البلاغة: جبر ضومط، المطبعة العثمانية في بعبدا – لبنان، 1898م
- الاصول الفنية للآداب: حسن عبد الحميد، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر، ط1، 1949م
- التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية: شفيع السيد، دار غريب للطباعة – لاطوغلي – القاهرة، د. ط.، د. ت.
- بحار الانوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار:محمد باقر بن محمد التقي المجلسي، دار احياء التراث العربي– بيروت، ط3، 1983م
- مقاييس اللغة: أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة، 1399هـ – 1979م، د. ط.
- فن الخطابة: أرسطو طاليس، ترجمة وتعليق وتقديم: عبد الرحمان البدوي، دار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية، بغداد، ط2، 1986م
- الرائد (معجم لغوي عصري): جبران مسعود، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ط7، 1992م
- الاستعارة في النقد الادبي الحديث (الابعاد المعرفية والجمالية): يوسف ابو العدوس،الأهلية للنشر والتوزيع – الاردن– عمان، ط1، 1997م
- كمال الدين وتمام النعمة: أبي جعفر محمد بن علي بابويه القمي (381هـ)، تصحيح: الشيخ حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات – بيروت – لبنان، ط1999،1م
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط1، 1972م
- نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من ارسطو الى لايكوفومارك جونسون: عبد العزيز لحويدق، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع – عمان، ط1، 1436هـ – 2015م
- الاستعارات التي نحيا بها:جورج لايكوف ومارك جونسون، تح:عبد المجيد جحفة،دار توبقال للنشر، ط1، 1996م، ط2، 2005م
- الأساس في التفسير: سعيد حوّى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، د.ت.
- الاحتجاج:ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر – النجف، 1996م، د. ط.
- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات): علي الشعبان، تقديم: حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010م

- الاستعارة: تيرني هوكس، تج: عمرو زكريا عبد الله، مراجعة: محمد بربري، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط1، 2016م
- التولد الدلالي في البلاغة والمعجم: محمد غالب، اشراف: عبد القادر الفهري، دار التوبقال للنشر، ط1، 1987م
- الاستعارة في الخطاب: ايلينا سيمينو، تج: عماد عبد اللطيف و خالد توفيق، اشراف: جابر عصفور، المركز القومي للترجمة– القاهرة، ط1، 2013م
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: جابر عصفور، المركز الثقافي العربي– بيروت، ط3، 1994م
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد(ع): أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار(ت290)،تقديم وتعليق وتصحيح: ميرزا محسن، الاعلمي– طهران 1362هـ، د. ط.
- الاستعارة الحية: بول ريكور، حقق وقدم له:محمد الولي،مراجعة وتقديم: جورج زيناتي،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 1096م
- الميسر في البلاغة العربية دروس وتمارين: أبن عبد الله احمد شعيب، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت – لبنان، ط1، 1429هـ – 2008م
- في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي– بيروت – الدار البيضاء، ط2، 2000م
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر– بيروت، 1985م، د.ط.
- الصورة البيانية في الموروث البلاغي: مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط1، 1426هـ – 2005م
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تهذيب وضبط وتحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1415هـ – 1994م
- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف ابي حيان الاندلسي (745)، تح: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد عوض،زكريا عبد المجيد النوتي، احمد النجول الجمل، دار الكتب العلمي – بيروت – لبنان . ط3، 2010 م
- البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة معارف بالإسكندرية، 1985م، د.ت.

- تفسير التحرير والتنوير: محمد طاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر،1984م، د. ط.
- اللغة في الادب الحديث بين الحداثة والتجريب: جاكوب كورك، تح: ليون يوسف وعزيز عمانوئيل، دار المأمون للترجمة والنشر– بغداد، 1989م، د.ت.
- صفوة التفاسير:محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم – بيروت، ط1981،4م، د.ط.
- البرهان في تفسير القرآن: هاشم الحسيني البحراني (ت1107هـ)، قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، ط1، 1417هـ
- الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز: أبي الحسن علي بن أحمد الوائلي (ت468)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، دار الشامية – بيروت، ط1، 1415هـ – 1995م
- الصورة الأدبية في القرآن الكريم: صلاح الدين عبد التواب، لونجمان الشركة العامة للنشر– القاهرة، 1995م، د. ط.
- شرح العقيدة الطحاوية: احمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، المسمى إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، اخرج احاديثه: سليمان القاطوني، دار المودة للنشر والتوزيع – المنصورة، ط1431،1هـ – 2011م
- الامامة الالهية (بحوث آية الله الشيخ محمد السند)، محمد علي بحر العلوم، شبكة كتب الشيعة، ط1، 2006م
- دلائل الأعجاز:عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)،قراءة وتعليق:أبو فهر محمود شاكر، مكتبة الخانجي– القاهرة، د. ط، د.ت.
- طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب:عبد العزيز الدريني(ت 697هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت، 1424هـ– 2003م، د. ط
- الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان، د. ط، د.ت.
- الأسماء ومعانيها: وليد ناصف، دار الكتاب العربي– دمشق– القاهرة، ط1، 1997م
- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع):احمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ – 1993م
- اعيان الشيعة:السيد محمد الأمين، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، 1403هـ– 1981م، د.ط، د. ت.

- سمات المنتظرين:حبيب الكاظمي، نور المعارف، ط7، 1440هـ
- منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: لطف الله الصافي الكيايكاني، مؤسسة الوفاء- بيروت – لبنان، ط2، 1403هـ – 1981م
- علاقة العبد بربه سلسة الاسلام منهج الحياة: احمد محمود الديب ابو ايمن، ط1، 1411هـ – 1990م
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي- مركز نشر أثار العلامة المصطفوي، ط1، 1416هـ
- مشاهد يوم القيامة: سيد قطب، دار الشروق للطباعة والنشر، د. ط، د. ت.
- طرائق البيان: الشيخ علي المحمدي: مطبعة السطور- العراق – بغداد، 2012م، د. ط.